

فادي بردويل*

الانتهاكات الإسرائيلية للسيادة اللبنانية (25 أيار/مايو 2000 – 12 تموز/يوليو 2006)**

بلغت حكومة إسرائيل رسمياً الأمين العام للأمم المتحدة، في 17 نيسان/أبريل 2000، أنها سوف تسحب قواتها العسكرية من لبنان بحلول تموز/يوليو 2000. وقد بدأت القوات العسكرية الإسرائيلية تخلي مواقعها في الجنوب اللبناني ابتداء من 16 أيار/مايو 2000. وابتداء من 21 أيار/مايو، راح الجيش الإسرائيلي وميليشيا جيش لبنان الجنوبي، المتعاونة معه، يخليان مواقعهما بسرعة فائقة إذ راحت جموع المواطنين اللبنانيين، المصحوبين بعناصر مسلحة، تدخل القرى في المناطق التي تحتلها إسرائيل. تفكك جيش لبنان الجنوبي خلال بضعة أيام، وفُرت أعداد كبيرة من أفرادهم وعائلاتهم إلى إسرائيل، بينما استسلم عدد آخر من الأفراد للسلطات اللبنانية. وفي 25 أيار/مايو، بلغت حكومة إسرائيل الأمين العام للأمم المتحدة أنها سحبت قواتها وفقاً لقراري مجلس الأمن 425 و426، الصادرين سنة 1978.

عقب هذا التبليغ، أرسلت الأمم المتحدة فريقاً من رسامي الخرائط ليحدد على الأرض خطأ يستعان به لغاية التحقق من الانسحاب الإسرائيلي، لا أن يرسم خطأً فاصلاً رسمياً. أنجز فريق الرسامين هذا مهمته في 7 حزيران/يونيو 2000، وبات خط الانسحاب يعرف بالخط الأزرق. ويوثق هذا التقرير انتهاكات إسرائيل الجوية، والبحرية، والبرية لخط الانسحاب، وأعمالها العدائية منذ إيجاد هذا الخط حتى 12 تموز/يوليو 2006.

الانتهاكات البرية للخط

وجدت اليونيفيل عدداً من الانتهاكات لدى تحققها من الانسحاب الإسرائيلي، إذ اخترق السياج الأمني الإسرائيلي الذي يلتف حول الخط الأزرق هذا الخط، كما تبين أن القوات العسكرية الإسرائيلية تستخدم دروباً للدوريات تخترق الخط. وقد التزمت حكومة إسرائيل بإزالة جميع انتهاكات الخط الأزرق بحلول نهاية تموز/يوليو 2000. ومع ذلك لوحظ نشاط إسرائيلي في ثلاثة مواضع شمالي الخط في 2 تموز/يوليو. وقد توقف هذا النشاط لاحقاً. وبحلول اليوم الواقع فيه 17 تموز/يوليو 2000، صححت إسرائيل كل الانتهاكات التي حددتها اليونيفيل باستثناء اثنين. وفي 24 تموز/يوليو كانت الانتهاكات كلها قد أزيلت.

منذ نهاية تموز/يوليو حتى أوائل تشرين الأول/أكتوبر 2000، لاحظت اليونيفيل انتهاكات طفيفة لخط الانسحاب جراء قيام إسرائيل بإنشاء مواقع عسكرية جديدة والتسييج على طول الخط. وقد صححت هذه الانتهاكات في كل مرة بعد تدخل اليونيفيل.

من تشرين الأول/أكتوبر 2000 حتى نهاية تموز/يوليو 2001، وقعت عدة انتهاكات طفيفة للخط الأزرق تعزى، في معظمها، إلى إنشاء الإسرائيليين السياج الأمني. وفي أواسط كانون الثاني/يناير 2002 لوحظ انخفاض نسبي في الانتهاكات البرية للخط الأزرق مع تسجيل انتهاك واحد من الجانب الإسرائيلي. وبينما سجلت اليونيفيل انتهاكين بريين إضافيين في الفترة الممتدة من 13 تموز/يوليو 2002 إلى 23 تموز/يوليو 2003، فإن تقارير الأمم المتحدة لا تأتي إلى ذكر الظروف المحددة لهذه الانتهاكات، كما لا تذكر أية انتهاكات برية أخرى للخط الأزرق من تموز/يوليو 2003 إلى تموز/يوليو 2006.

الانتهاكات الجوية

في 7 تشرين الأول/أكتوبر 2000، شن حزب الله هجوماً على مسافة 3 كيلومترات إلى الجنوب من قرية شبعاً وأسر ثلاثة جنود إسرائيليين. وتعتبر الحكومة اللبنانية أن مزارع شبعاً أرضاً لبنانية لا تزال إسرائيل تحتلها. لذلك تصر الحكومة اللبنانية على الانسحاب الإسرائيلي من المزارع وفقاً لقرار مجلس الأمن 425 (1978)، القاضي بالانسحاب الفوري من جميع الأراضي اللبنانية. موقف الأمم المتحدة من هذا الموضوع هو أن المزارع تقع في المنطقة التي تحتلها إسرائيل منذ سنة 1967 وأنها لذلك تخضع لقراري مجلس الأمن 242 (1967) و338 (1973) اللذين يدعوان إلى الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي المحتلة. عقب هذا الحادث استأنفت القوات الجوية الإسرائيلية تحليقاتها فوق الأراضي اللبنانية. وكانت هذه التحليقات تقع عادة بصورة شبه يومية على ارتفاعات

شاهقة. وقد استمرت الخروقات الجوية بالوتيرة نفسها حتى أواسط تموز/يوليو 2002. وكانت هذه الخروقات لسيادة لبنان وسلامة أراضيه تتوغل في عمق المجال الجوي اللبناني، وكانت تلك التي تقع على ارتفاع منخفض خارقة جدار الصوت أكثر استفزازاً، إذ كانت تسبب القلق للسكان المدنيين. واستمرت هذه الخروقات حتى ما بعد إطلاق الأمين العام للأمم المتحدة، وكبار المسؤولين فيها، وعدد من الحكومات المعنية، دعوات متكررة للسلطات الإسرائيلية إلى وقف هذه التحليقات والالتزام الكامل باحترام الخط الأزرق. كما أن التعهد الذي قدمه في 28 حزيران/يونيو 2001 وزير الدفاع الإسرائيلي لممثلي الأمين العام للأمم المتحدة في المنطقة، تيري رود لارسن واستيفان دي ميستورا، بوقف تحليق الطيران فوق المدن في عمق الأراضي اللبنانية على الأقل، لم يتم التزمه. وابتداءً من 11 تشرين الأول/أكتوبر 2001، بدأ استيفان دي ميستورا إصدار بيانات علانية تناشد السلطات الإسرائيلية احترام الخط الأزرق بعد كل خرق جوي.

في النصف الأخير من نيسان/أبريل 2002، لاحظ تقرير الأمين العام للأمم المتحدة بروز نمط جديد تطير بموجبه المقاتلات الإسرائيلية فوق البحر وتدخل المجال الجوي اللبناني شمالي منطقة عمليات اليونيفيل، متفادية بذلك المراقبة المباشرة والتحقق من جانب اليونيفيل.

ومن أواسط تموز/يوليو 2002 حتى أواسط كانون الثاني/يناير 2003، حدثت خروقات إسرائيلية متقطعة للمجال الجوي اللبناني، مع فترات هدوء نسبي يقطعها تصعيد مفاجئ على امتداد عدة أيام. وفي مناسبتين خلال تشرين الثاني/نوفمبر، فاقت الخروقات الجوية الإسرائيلية أي عدد مسجل منذ الانسحاب الإسرائيلي من الجنوب اللبناني في أيار/مايو 2000.

ارتفعت وتيرة الانتهاكات الإسرائيلية للأجواء اللبنانية بصورة عامة خلال الفترة الممتدة من أواسط كانون الثاني/يناير 2003 حتى 23 تموز/يوليو 2003. وسجلت اليونيفيل خروقات شبه يومية على امتداد الخط الأزرق خلال بضعة أسابيع، ثم تناقص العدد منذ أوائل تموز/يوليو. وقد استمر نمط الطيران الذي تم تحديده سابقاً، إضافة إلى خرق جدار الصوت فوق المناطق الأهلة خلال هذه الفترة. وعلى الرغم من أن تلك الخروقات الجوية تتبع نمط الطيران الذي ينجو من مراقبة اليونيفيل المباشرة، فقد كانت تخضع لمراقبة المدنيين الواسعة، فضلاً عن أعضاء المجتمع الدولي الآخرين، كما كانت تنقل إلى اليونيفيل عبر السلطات اللبنانية. واستمرت الخروقات الجوية على الرغم من عدم توقف مسؤولي الأمم المتحدة عن دعواتهم المتكررة لإسرائيل إلى الكف عن هذه الانتهاكات. من 24 تموز/يوليو 2003 إلى 19 كانون الثاني/يناير 2004، استمرت الطائرات النفاثة الإسرائيلية في اختراق الأجواء اللبنانية. وكان عدد الخروقات ينخفض أحياناً، لكن فترات الهدوء كان يليها باستمرار فترات تكثيف للطلعات الجوية. وقد شهدت هذه الفترة استمرار نمط الطيران نفسه الذي سبق وصفه، فضلاً عن اختراق جدار الصوت.

من 21 كانون الثاني/يناير حتى 21 تموز/يوليو 2004، كانت الخروقات الجوية الإسرائيلية للأجواء اللبنانية أقل تكراراً بوجه الإجمال مما كانت عليه في الفترة السابقة، وإن تميزت بكثافتها وكثرة عدد الطائرات فيها. وقد تمسك المسؤولون الإسرائيليون بالموقف القائل إن تحليق الطائرات الإسرائيلية سيحدث كلما رأت إسرائيل ضرورة لذلك. وكما في الماضي كانت النفاثات الإسرائيلية تتوغل في عمق الأجواء اللبنانية، وتخرق جدار الصوت فوق المناطق الأهلة متبعة نمط الطيران الذي سبق وصفه.

من 21 تموز/يوليو 2004 حتى 20 كانون الثاني/يناير 2005، كانت الخروقات الجوية تحدث بصورة متقطعة خلال فترة التقرير، لكنها كانت تضم أحياناً أعداداً كبيرة من الطائرات. كما استمر نمط التحليق المقترن باختراق جدار الصوت الذي كان يولد المشاعر العدائية عند السكان.

من 21 كانون الثاني/يناير 2005 حتى 20 تموز/يوليو 2005، واصلت القوات الجوية الإسرائيلية اختراقها سيادة لبنان وسلامة أراضيه. وكانت التحليقات تحدث بصورة متقطعة وتضم عدداً كبيراً من الطائرات أحياناً، مع استمرار نمط التحليق نفسه، واختراق جدار الصوت الملاحظ سابقاً.

استناداً إلى مصادر الأمم المتحدة قامت مجموعة من مقاتلي حزب الله باختراق الخط الأزرق وشاهدتها القوات العسكرية الإسرائيلية، وعقب ذلك تبادل لإطلاق النار بين الطرفين. ثم بدأ حزب الله بإطلاق دفعات من قذائف الهاون على عدة مواقع عسكرية إسرائيلية في منطقة مزارع شبعا، فرد الجيش الإسرائيلي بإطلاق قذائف المدفعية والدبابات على عمق الأراضي اللبنانية، فضلاً عن إطلاق صواريخ من الطوافات وإلقاء قذائف جوية على مختلف

مواقع حزب الله. في اليوم التالي، أي في 30 حزيران/يونيو، رُوي أن الطوافات الإسرائيلية اخترقت المجال الجوي اللبناني وألقت مناشير على مدن صور وصيدا وبيروت.

بين 29 حزيران/يونيو و12 تموز/يوليو، عانت اليونيفيل جراء قيود مستمرة فرضتها القوات الإسرائيلية على استخدام الطوافات، حتى لمراقبة الخط الأزرق.

من 22 تموز/يوليو 2005 حتى 20 كانون الثاني/يناير 2006، خرقت القوات الجوية الإسرائيلية الأجواء اللبنانية في عدة مناسبات. خلال فترة التوتر المتزايد في تشرين الثاني/نوفمبر - بين إسرائيل وحزب الله - كانت تحليقات النفاثات والطوافات وطائرات الاستطلاع من دون طيار عديدة، وعلى درجة عالية من الاستفزاز.

في 21 تشرين الثاني/نوفمبر 2005، شن حزب الله هجوماً عبر الخط الأزرق. بدأ الاشتباك بإطلاق حزب الله قذائف الهاون الثقيلة والصواريخ على عدة مواقع إسرائيلية قريبة من الخط الأزرق في القطاع الشرقي من منطقة عمليات اليونيفيل. وفي الوقت نفسه تسللت مجموعة كبيرة من مقاتلي حزب الله إلى قرية الغجر. قُتل أربعة من مقاتلي الحزب في اشتباك بالأسلحة الخفيفة مع القوات الإسرائيلية. وكان هدف عملية حزب الله أسر جنود إسرائيليين بغية مبادلتهم بأسرى لبنانيين في السجون الإسرائيلية. جاء الرد الإسرائيلي عنيفاً واشتمل على قصف جوي. وامتد تبادل إطلاق النار على طول الخط الأزرق ودام أكثر من تسع ساعات. وفي إثر هذا الحادث، ألقت الطائرات الإسرائيلية مناشير على بعض مناطق لبنان، ومنها بيروت.

ومنذ أواسط كانون الأول/ديسمبر، انخفض عدد الخروقات الجوية الإسرائيلية بينما ظلت على وتيرة النمط الملحوظ سابقاً والمقترن بخرق جدار الصوت.

من 21 كانون الثاني/يناير حتى 12 تموز/يوليو 2006، استمرت الخروقات الإسرائيلية الاستفزازية متوغلة أحياناً في عمق الأجواء اللبنانية، ومتسببة بخرق جدار الصوت فوق المناطق الأهلة وفق النمط الملحوظ في السابق. وقد ظلت هذه التحليقات، كما لاحظ الأمين العام للأمم المتحدة، مصدر قلق بالغ إذ كانت تنتهك سيادة لبنان ووحدة أراضيه، وتزيد في التوتر، وتعكر الهدوء الهش على طول الخط الأزرق. وقد وُفّر انخفاض عدد الاختراقات الجوية في نيسان/أبريل جواً من الهدوء النسبي على امتداد الخط الأزرق، لكن هذا التوجه انعكس في أيار/مايو 2006.

الانتهاكات البحرية

ليس في تقارير الأمين العام للأمم المتحدة بشأن وضع اليونيفيل إلا حالة واحدة تتعلق بحادث بحري. ففي 22 تشرين الأول/أكتوبر 2005 قُعد صياد سمك لبناني وشوهد زورقه الفارغ في المياه اللبنانية قبل أن يطفو في اتجاه المياه الإقليمية الإسرائيلية ويرسو على البر قرب نهاريا. شاركت طوافات اليونيفيل في عملية بحث مكثفة عن الصياد، لكن جثته لم تسترد. وقد أعاد الجيش الإسرائيلي الزورق بواسطة اليونيفيل في 24 تشرين الأول/أكتوبر. كان على الزورق آثار طلقات نارية. وقد فسر الجيش الإسرائيلي ذلك بأنه فتح النار احتراساً من أن يكون الزورق مفخخاً، وأن الزورق كان فارغاً في ذلك الوقت.

أعربت القرارات التي اتخذها مجلس الأمن بعد الانسحاب الإسرائيلي من لبنان في أيار/مايو 2000 عن بالغ القلق إزاء الانتهاكات الخطرة لخط الانسحاب، بحراً وبراً، وإزاء استمرار الخروقات الجوية. ■

(*) صحافي لبناني.

(**) يستند هذا التقرير إلى وثائق الأمم المتحدة، ولا سيما تقارير الأمين العام المتعلقة بقوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان (اليونيفيل) من سنة 2000 إلى سنة 2006.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي

التالي: majallat@palestine-studies.org

يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:

http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx